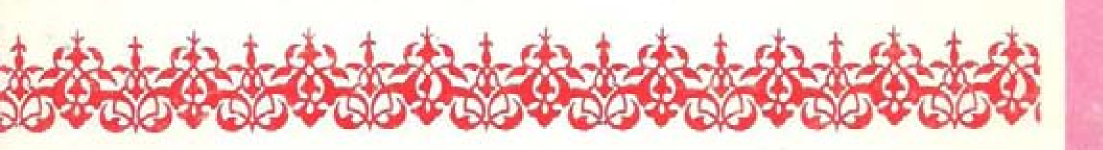
رسائل من التراث الإسلامي

مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب

تصنيف
الشيخ العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣هـ رحمه الله



قدم لها وضبط نصها وعلق عليها
علي حسن علي عبد الحميد

دار عمار

مسبوك الذهب
في فضل العرب
وشرف العلم على شرف النسب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٢١٨,٥
مرء مرعي الحنبلي
مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب / مرعي الحنبلي ، تحقيق علي حسن عبد الحميد .- عمان : دار عمار ، ١٩٨٨ .
(٧٦) ص .
ر.أ (١٩٨٨/٥/٢٦٠)
١ - الاسلام والعلم أ - علي حسن محقق
أ - العنوان
تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

دار عمّار
الأردن - عمّان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٣-٦٣٧٧٧١ - ص.ب ٨٥٧
عمان - الأردن

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رسائل من التراث الإسلامي

مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب

تصنيف
الشيخ العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ رحمه الله

قدّم لها وضبط نصّها وعلّق عليها
علي حسن علي عبد الحميد

دار عمار



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقدِّمةُ التحقيق :

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ، ومِن سيِّئات أعمالِنا ، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِلِ فلا هادي له .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريكَ له .

وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه .

أمَّا بعد :

فهذه رسالةٌ نافعةٌ مفيدةٌ ، في مسألةٍ مُهمَّة من المسائل التي لها ارتباط وثيقٌ بالحياة العامة ، وهي مسألة العروبة ومكانتها في الشريعة الإسلامية .

ولقد لخَّص المصنف ـ رحمه الله ـ رسالتَه هذه من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي

المتوفَّى سنة (٧٢٨هـ)، تلخيصاً حسناً، مع زيادة فوائد مُهمَّة للغاية.

وكانت خلاصة هذه الرسالة أنَّ فضل العرب الوارد في بعض الأحداث أو الآثار إنما هو لمزايا وخصائص تحقَّقتْ بهم، فإذا ذهبت هذه المزايا أو الخصائص بسبب بُعدِهم عن دينهم، وإهمالِهم إسلامَهم، ذهبَ فضلُهم، وتلاشت ميزاتُهم، ومن أخذ بها من الأعاجم، كان خيراً منهم عند الله وعند الناس[1].

ولهذه الرسالة خَصيصةٌ مُهمَّةٌ؛ أنها من أواخر مصنفات العلامة الكرمي رحمه الله، إذْ صنفها قبلَ وفاته بسنة واحدة.

فأحببتُ لهذا كلِّه أَنْ أقوم بتحقيقها تحقيقاً علمياً نافعاً إنْ شاء الله تعالى، مخرِّجاً لأحاديثها، معلِّقاً على ما يجب التعليق عليه لزيادة فائدة، أو توضيح فكرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

علي حسن علي عبدالحميد

يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة ١٤٠٥هـ

---

(١) وهذا ما لخَّصه المصنِّف رحمه الله باختياره الدقيق الموفَّق لعنوان رسالته.

النسخة المعتمدة في التحقيق

نسخة خطية مصوَّرة عن أصلها المحفوظ في المكتبة الوطنية في تونس، وهي بخط مشرقي جميل واضح معتاد.

وعليها بعض حواشٍ بخط مغربي معتاد أيضاً.

عدد أوراقها (١٢) ورقة.

مسطرتها: (١٩ × ١١).

أُرَجِّح أنها بخطِّ مصنِّفها رحمه الله.

وقد قمتُ باستنساخها، ثم قابلتُها، وضبطتُ نصَّها، وعلَّقتُ عليها، وخرَّجت نصوصَها، وغير ذلك مِمَّا هو بين يديكَ أخي القارىء[1].

---

(١) وبعد انتهائي من تحقيق الكتاب، وقفتُ على نسخة أُخرى مخطوطة، في مركز الوثائق والمخطوطات التابع للجامعة الأردنية، برقم (٦٧٥)، عدَّة أوراقِها (٤٣)، فعسى أن يُيَسِّر الله مقابلة الكتاب عليها في طبعة أُخرى إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة
قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله الذي تفضل ووهب، وأبعد من شاء وقرب، يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة وإنا لنتهيب، ولم ندر ما الحكمة والسبب،
والصلاة والسلام على المبعوث من خير بني آدم وأشرف قبائل العرب
وعلى آله وأصحابه الحائزين أعلى الرتب، والحائزين على بحر البلاغة
والأدب، وبعد فهذه مسائل تستعذب، ودلائل تستغرب،
تتعلق بفضل العرب وما حازوه من شرف النسب والحسب، وتمييز
مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب،
فأقول وعلى الله اعتمد ومن فضله استمد مقدمة اعلم أرشدك
الله أن العُرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم والعجم بالضم والتحريك
خلاف العرب من أي جنس كان من ترك وروم وهند وبربر وزنج والعرب
العاربة والعرب العرباء الخلص منهم وعرب متعربة ومستعربة دخلاء
بينهم قال في القاموس والعرب سكان الأمصار والأعراب منهم سكان
البادية وكلام النحاة يخالف كلام القاموس فإنهم قالوا إلى سيبويه أن
يجعل الأعراب جمع عرب لأن الجمع أعم من المفرد والعرب يعم الحاضرين
والبادين والأعراب خاص بالبادين فقيل الأعراب جمع عربي
وقيل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه يفرق بينه وبين واحده
بالياء مثل روم ورومي وزنج وزنجي وهذا الظاهر واعلم أن

صورة الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة المصورة

لم في المجلس وقال انس رضي الله عنه لم يكن شخص … الى الصحابة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته
لذلك وقد ثبت في الصحيح من حديث جابر … صلى الله عليه وسلم صلى
باصحابه قاعدا المرض كان به فصلوا خلفه قياما فامرهم بالجلوس وقال
لا تعظموني كما يعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال من سره ان يتمثل له
الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار قال ابن تيمية فاذا كان عليه
السلام قد نهاهم مع قعوده وان كانوا قاموا في الصلاة حتى لا يتشبهوا
بمن يقومون لعظمائهم وبين ان من سره القيام له كان من اهل النار فكيف
بما فيه من السجود له او وضع الراس وتقبيل الايدي ونحو ذلك
وبالجملة فقد دخل في هذه الامة من الاثار الرومية والفارسية قولا
وعملا وتشبها ما لا يخفى على مؤمن عليم بدين الاسلام وليس الغرض هنا
تفصيل الامور التي وقعت في الامة من ذلك وانما الغرض مجرد
التلويح رجاء ان يقف عليه مؤمن موفق فينتفع … ويعمل بموجبه
وفي الحديث ما ابتدع قوم بدعة الا نزع الله … مثلها من السنة … نعوذ
بالله تعالى من شر الابتداع ونسأله سبحانه … الاتباع لما كان عليه
جماعة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والسابقين الاولين
من الانصار والمهاجرين واسأله سبحانه حسن الخاتمة في خير وعافية لي

تم الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
يوم الاحد سلخ شهر ربيع الثاني من شهور
سنة اثنين وثلاثين
والف

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة المصورة

ترجمة المصنف

□ هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي.

□ وُلد في قرية (طول كرم)[1]، ثم انتقل منها إلى القدس، ثم ارتحل منها إلى مصر.

□ كان رحمه الله حنبليَّ المذهب، عارفاً به، ومنافحاً عنه.

□ وكان سلفيَّ العقيدة، وظهر ذلك جليًّا في كتابه «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات»[2].

□ أخذ العلم عن أكابر شيوخ عصره.

---

(١) لم تذكر مصادرُ ترجمته تاريخَ ولادته.

(٢) وقد طُبِعَ في مؤسسة الرسالة، وكنت من المعاونين في تحقيقه بحمد الله.

□ تصدَّر للإقراء والتدريس في الجامع الأزهر، ثم تولَّى المشيخة بجامع السلطان حسن.

□ له مصنفات كثيرة متنوعة، غالبها لا يزال مخطوطاً[1]

□ وكان أديباً شاعراً، ذا شعر مشهور، وديوان مسطور.

□ تُوفي رحمه الله في مصر، في شهر ربيع الأول سنة (١٠٣٣هـ).

□ مصادر ترجمته:

١ ـ «خلاصة الأثر» (٤ / ٣٥٨).

٢ ـ «كشف الظنون» (١٩٤٨).

٣ ـ «مختصر طبقات الحنابلة» (٩٩).

٤ ـ «النعت الأكمل» (١٨٩).

٥ ـ «هدية العارفين» (٢ / ٤٢٦).

٦ ـ «عنوان المجد» (١ / ٣١).

٧ ـ «تاريخ آداب اللغة العربية» (٣ / ٢٩٣).

---

(١) ويقوم الأخ مشهور حسن بتحقيق مجموعة من مؤلَّفاته يسَّر الله له ذلك، منها ما هو تحت الطبع، مثل: «تحقيق البرهان في شأن الدخان»، في دار عمار ـ عمَّان، وغيره.

٨ ـ «أعيان دمشق» (٢٤٤).

٩ ـ «الأعلام» (٧ / ٢٠٣).

١٠ ـ «معجم المؤلفين» (١٢ / ٢١٨).

١١ ـ «إيضاح المكنون» (١ / ٧، ١٨).

وغيرها.

□□□

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة.

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مَرْعي بن يوسف الحنبلي المقدسي:

الحمدُ لله الذي تَفَضَّلَ ووهب، وأبعد من شاءَ وقرَّبَ، يخلق ما يشاءُ ويختار، ما كان لهم الخيرة وإنا لنعجب، ولم نَدْرِ ما الحكمةُ والسَّبب، والصَّلاة والسلام على المبعوث من خير بني آدم وأشرف قبائل العرب، وعلى آلهِ وأصحابه الحائزين أعلى الرتب، والجائزين على بحر البلاغة والأدب، وبعد:

فهٰذي مسائلُ تُستَعذَب، ودلائلُ تُستغرَب، تتعلق بفضل العرب، وما حازوه من شرف النَّسب والحسب، وسمَّيْتُهُ «مسبوك الذهب، في فضل العرب، وشرف العلم على شرف النسب».

فأقول، وعلى الله أعتمد، ومن فضله أستمد:

مقدمة:

اعلم ـ أرشدك الله ـ أنَّ العربَ بالضم وبالتحريك خلافُ العجم، والعجم بالضم والتحريك خلافُ العرب، من أي جنس كان؛ من تُركٍ، ورومٍ، وهِنْدٍ، وبَرْبَر، وزِنج.

والعرب العاربة، والعرب العرباء؛ الخُلَّص منهم، وعرب مُتَعرِّبة، ومستعربة؛ دخلاء بينهم.

قال في «القاموس»[1]: «والعرب سكان الأمصار، والأعرابُ منهم سكان البادية».

وكلام النحاة يخالف كلام «القاموس»؛ فإنهم قالوا: «أبى سيبويه أن يجعل الأعرابَ جمعَ عربٍ؛ لأنَّ الجمع أَعَمُّ من المفرد، والعرب يعُمُّ الحاضرينَ والبادين، والأعرابُ خاصٌّ بالبادين».

قيل: بل الأعراب جمع عربي.

وقيل: اسم جنس جمعِيٍّ لا واحد له من لفظه، يُفَرَّق بينه وبين واحده بياء النسب، مثل: روم ورومي، وزِنج وزِنجي.

---

(١) «القاموس المحيط» (١ / ٣٧١ ـ بشرح التاج).

وهذا أظهر.

واعلَمْ أن العربَ موجودةٌ من قبلِ إسماعيلَ وإبراهيمَ، فإنَّ الله تعـالى قد بَعَثَ إليهم قبـلَ إسمـاعيل هوداً وصالحاً عليهما السلام، وما قيل من أن «إسماعيل أبو العرب»؛ فلعل المرادَ: أشرفُ العرب، أو غالبُ العرب.

ثم رأيت في حديث الترمـذي ـ وحسَّنه ـ عن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم»[1].

ورأيتُ صاحبَ «تاريخ الخميس»[2] ذكر ما حاصلُه: إنَّ أبنـاء نوح عليه السـلام ثلاثٌ؛ سام: وهـو أبـو العرب وفارس والـروم. ويافث: وهـو أبـو الترك، ويأجوج ومأجوج، والخزر، والصَّقـالبـة. وحـام: وهـو أبـو السودان من الحبشة، والزنج، والقِبْط، والإفرنج.

قال: ومن أولاد سام: عراق، وكِـرْمـان، وخـراسـان،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٨٣ و ٣٢٨٤ و ٤٠٢٤)، وأحمد (٥ / ٩ و ٩ ـ ١٠ و ١٠ ـ ١١)، والحاكم (٢ / ٥٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٧١ و ٦٨٧٢ و ٦٨٧٣)؛ عن سمرة، وفيه انقطاع.

(٢) وهو الدياربكري، وانظر «تاريخه» (١ / ٧٥ ، ٧٦).

وفارس، وروم، وباسم كل واحد سمِّيت المملكةُ التي حلَّ بها.

قال: وأما ولد إرم بن سام بن نوح، فإنهم احتقروا الناس بما أنعم الله عليهم من القوة والبطش واللسان العربي، وكانوا سبعة إخوة، وهم: عاد؛ وكان أعظمهم قوة وبطشاً، وثمود، وصَحَار، ووَبار، وطَسْم، وجَديس، وحَماسِم، وهؤلاء تفرَّقوا بجزيرة العرب، وهم العرب السالفة الأولى؛ الذين انقَرَضَ غالبُهم.

قال: وقَدْ فَهَّمَ الله تعالى العربيةَ لِغَمليقَ، وطَسْم، وعاد، وعَبيل، وثمود، وجَديس.

وقال صاحب «تاريخ الملوك التبابعة وملوك حِمْيَر»: «إنَّ هوداً ـ عليه السلام ـ ابنَ عَابَر بن شَالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[1] هو أبو العرب العاربة، وإن ابنه قحطان هو وليُّ عهده، قد لَزِمَ طريقته، واقتدى بها، وإنَّ يَعْرُب بن قحطان بن هود هو أولُ من أَلْهَمَهُ الله تعالى العربية المَحْضَة، وقال فأبلغَ، واختصَرَ فأَوجزَ، واشتُقَّ اسم العربيَّة من اسمه، وإن يشجب بن يعرب قامَ

---

(١) يذهب ابن حزم في «جمهرة الأنساب» (٧ ـ ٨) إلى إبطال ذلك كُله، فراجعه.

مقـامَـه في النهي والأمـر، وحـاز اليمن والحجاز. وإن سبأ بن يشجب كان ملكاً عظيماً، وهو أول من سبى السَّبْيَ ؛ غَزَا ملوكَ بابـل وفـارسٍ والروم والشام، حتى أتى المغربَ، ثم رجع إلى اليمن، فبنى السَّدَّ الذي ذكَرَهُ الله تعالى، واسمه العَرِمُ[1]، وقسم الملك بينَ ولديه حِمْيَر وكَهْلان.

واعلم أنَّ آدم عليه السلام هو أولُ من تكلم بالعربية، بل بالألسنـة كلهـا بجميع لغاتها، وعلَّمها أولاده، فلما افترقوا في البلاد وكثُروا، اقتصرَ كلُّ قومٍ على لغة.

ومـا رُويَ: «أولُ ما تكلم بالعربية إسماعيلُ أو يَعرُب بن قحطان»[2]؛ فالمراد: من ولد إبراهيم، أو من قبيلته.

وعلى هذا، فالـظاهـر أن لغـة العرب قديمة، بل وسائر اللغات، وأن مَن كان يتكلم بالعربية من بني آدم قبلَ الطوفان فهُم العرب أو أنَّ العربَ والعجمَ والرومَ والتركَ والحبَشَ أوصافٌ حادثةٌ بعـد الـطُّوفـان، وأنـه كانَتْ للنـاس أوصافٌ وأجناسٌ أُخَرُ قبلَ الطُّوفان، نُسخت ونُسيت، فإنَّ الطُّوفان عمَّ أهل الأرض جميعاً،

---

(١) «معجم البلدان» (٤ / ١١٠) ياقوت.

(٢) انظر «محاضرة الأوائل» (ص٢٣)، للبسنوي.

بحيثُ لم يَبْقَ على وجه الأرضِ أحدٌ.

ونـوح عليه السـلام هو الأب الثاني للبشر، قال تعالى: ﴿وجَعَلْنـا ذُرِّيَّتَهُ هُم الباقِينَ﴾[1]، ثم تناسلوا، وكثروا، وتكلموا باللغات كلها، إمَّا بإلهامٍ من الله تعالى ـ كما مرَّ ـ أو بتلقِّيها من نوح عليه السلام، وتلقَّاها أولادُه عنه، هذا مَحَلُّ تردد، ولم أَرَ في ذلـك نقلاً، والأقربُ تلقِّيها من نوح عليه السلام، فإنَّ اللغة لا يُحيط بها إلا مَلَكٌ أو نبيٌّ.

واعلم أن الأعـرابَ في الأصـل اسم لسكَّان بادية أرض العرب، فإنَّ كل أمة لها حاضرة وبادية، فباديةُ العربِ الأعرابُ، وبـاديةُ الـرومِ الأرمنُ، وباديةُ التركِ التركمانُ، وباديةُ الفرسِ الأكـرادُ، وأرضُ العربِ بين جزيرة العرب التي من بحر القَلْزَم شرقيَّ مصر، إلى بحر البصرة، ومن أقصى حِجْر باليمن، إلى أوائل الشام.

وقال أبو عُبيد: جزيرة العرب من عدن إلى ريف العراق طولاً، ومن تِهامة ـ بكسر التاء ـ إلى ما وراءها إلى أطراف الشام، وسُمِّيت جزيرة لأنَّ بحر فارس، وبحر الحبش، ودجلة والفرات؛

(١) الصافات: ٧٧.

قد أحاطت بها.

إذا تقـرَّر هذا، فاعلم أن جنس العرب أفضلُ من جنس العجم، كما أن جنس الرجل أفضل من جنس المرأة، وأمَّا باعتبار أفـراد الأشخاص، فقد يُوجَدُ من النساء ما هو أفضل من ألوف الرجال، كمريم، وفاطمة، وعائشة، وقد يوجد من العجم ما هو أفضل من ألوف من العرب كصُهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وغيرهم. فإنَّ كل واحد منهم أفضلُ من ألوف من العـرب، بل أفضـل من ألـوف من قريش، وبني العبَّاس، والأشراف، ويَصِحُّ أن تقولَ: إن كل واحد من مثل سلمان وبلال وصُهيب لصحبـةِ رسـولِ الله ﷺ أفضـلُ من جعفـر الصادق، وموسى الكاظم، وأفضلُ من أبي حنيفةَ، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وهل يَصِحُّ أن يُقال: إن الواحد من الصحابة أفضلُ من جميع أمـة محمـد من غير الصحابة المشتملةِ على الأقطاب، والأنجاب، والأبدال[1]، والعلماء، والشهداء، والأولياء؟

---

(١) وهذه مصطلحات صوفية، كان الحري بالمصنف ـ رحمه الله ـ أن يُنزه قلمه عنها!!

الظاهر صحة ذلك، وإنْ كان العقل يأبى ذلك ويَستبعِدُه، لا سيَّما وفي الهيئة الاجتماعية من الفضل والقوة غاية المَزِيَّةِ، فليُتَأَمَّل.

والدليل على فضل العرب من وجهين، من المنقول والمعقول:

أما النقل:

فقد روى الطبراني، والبيهقي، وأبو نُعيم، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ، فاختارَ من الخَلْقِ بني آدَمَ، واختارَ مِن بني آدَمَ العربَ، واختارَ من العربِ مُضَر، واختار من مُضَر قريشاً، واختار من قُريش بني هاشم، واختارَني من بني هاشم، فأنا خِيارٌ من خِيارٍ، فمَن أحبَّ العربَ فبحبي أحبَّهم، ومَن أبغَضَ العربَ فببغضي أبغَضَهم»(1).

---

(1) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١ / ١٧٢)، والحاكم (٤ / ٧٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤ / ٣٨٨)، وفي إسناده: يزيد بن عوانة، ومحمد بن ذكوان؛ ضعيفان. =

فهذا النقل صريحٌ في فضل العرب على العجم، وصريحٌ في فضل جنس بني آدم على جنس الملائكة، خلافاً للمعتزلة، ومَنْ وافَقَهُم[1].

وروى الترمذي ـ وحسَّنه ـ من حديث العباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ، فجعلني في خيرِ فِرَقِهِم، ثم خَيْرِ القبائل، فجعلني في خيرِ قبيلة، ثم خيرِ البيوت، فجعلني في خيرِ بيوتهم، فأنا خيرُهم نفساً، وخيرُهم بيتاً»[2].

وروى الترمذي أيضاً ـ وحسَّنه ـ قال: جاء العباسُ إلى رسول الله ﷺ وكأنَّه سَمِعَ شيئاً، فقامَ النبي ﷺ على المنبر، فقال: «من أنا»؟ فقالوا: أنت رسول الله. فقال: «أنا محمدُ بنُ

= وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢ / ٣٦٧): قال أبي: حديث منكر.

واستغربه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢ / ٢٥٧).

(١) انظر تفصيل ذلك في «البداية والنهاية» (١ / ٥٨) لابن كثير، و«مجموع الفتاوى» (١١ / ٣٥٠) لابن تيمية، و«حاشية رد المحتار» (١ / ٥٢٧) لابن عابدين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠)، وابن ماجه (١٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (١ / ١٦٨)، وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.

عبـدالله بنِ عبـدالمـطلب». ثم قال: «إن الله خَلَقَ الخَلْقَ، فجعلني من خيرهم، ثم جعلهم فريقين، فجعلني في خير فِرقة، ثم جعلَهم قبائلَ، فجعلني في خيرهم قبيلةً، ثم جعلَهم بيوتاً، فجعلني في خيرِهم بيتاً، وخيرِهم نفساً»[1].

وروى الإمام أحمد هذا الحديث في «المسند»[2]، وفيه: فصعد النبي ﷺ المنبر، فقال: «من أنا»؟ فقالوا: أنت رسول الله. فقال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إنَّ الله خَلَقَ الخلقَ، فجعلني في خيرِ خلقِهِ، وجعلهم فِرقتين، فجعلني في خيرِ فِرقـة، وجعلهم قبـائـل، فجعلني في خيرِ قبيلةٍ، وجعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرِ بيتٍ، فأنا خيرُكم بيتاً، وخيرُكم نفساً».

وروى الحافظ ابن تيمية[3] من طرق معروفة إلى محمد بن إسحاق الصاغاني[4]، بإسناده إلى ابن عمر، عن النبي ﷺ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١١) عن المطَّلب، وفيه يزيد أيضاً، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١ / ١٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ٢٨٦).

(٢) (٤ / ١٦٥ - ١٦٦).

(٣) في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٥٥).

(٤) تحرفت في المطبوع من «الاقتضاء» إلى: الصنعاني!

وفيه: «ثمَّ خَلَقَ الخَلْقَ؛ فاختـار بني آدم، واختـار من بني آدم العربَ، واختار من العربِ مُضَرَ، واختار من مُضَرَ قريشاً، واختار من قريشٍ بني هاشم، واختارَني من بني هاشم، فأنا من خِيار إلـى خِيار، فمَـنْ أحبَّ العـرَبَ؛ فبحبي أحبَّهم، ومن أبغضَ العرب؛ فببغضي أبغضهم»[1].

في هذه الأحـاديث كلِّها؛ أخبر رسولُ الله ﷺ أنه تعالى جعـل بني آدم فرقتين، والفرقتان: العرب، والعجم، ثم جعلَ العربَ قبائل، فكانت قريشٌ أفضلَ قبائل العرب، ثم جعل قريشاً بيوتاً، فكانت بنو هاشم أفضلَ البيوت، فالأحاديث كلُّها صريحةٌ بتفضيل العرب على غيرهم.

وروى الإمـام أحمـد، ومسلم، والتـرمذي[2] من حديث الأوزاعي، عن شدَّاد، عن واثلة بن الأسقـع ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله اصطَفَى كِنانَةَ من ولد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ١٠٧)، ومسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٤)، وأبـو يعلى (٣٥٢ / ١)، والـطبراني في «الكبير» (٢٢ / ٦٦)، والبيهقي في «الدلائل» (١ / ١٦٥).

إسماعيل، واصطَفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وفي لفظ آخر: «إنَّ الله اصْطفى مِن ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطفى من ولدِ إسماعيلَ بني كِنانةَ»[1]. إلى آخره. قال الترمذي: هذا حديث صَحيح.

وهذا الحديث يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، وأنهم أفضل من ولد إسحاق، ومعلوم أن ولَدَ إسحاقَ ـ الذينَ هم بنو إسرائيل ـ أفضلُ من العجم؛ لما فيهم من النبوَّة والكتاب، وحيثُ ثَبَتَ فضلُ ولد إسماعيل على بني إسرائيل، فعلى غيرهم بطريق الأوْلى.

وقد احتجّ الشافعية في الكفاءة بهذا، فقالوا: «إن العرب طبقات، فلا يكافىء غير قرشي من العرب قرشية، وليس القرشي كُفْوَ الهاشمية؛ للحديث السابق: «إن الله اصطفى...» إلى آخره».

قالوا: «وأولاد فاطمة ـ عليها السلام ـ لا يكافئهم غيرُهم من بقية بني هاشم: لأنَّ من خصائصه ـ عليه السلام ـ أن أولاد

(١) عند الترمذي (٣٦٠٥).

بناته يُنسبون إليه» .

قالـوا : «وكـذا باقي الأمم ، فلا يكـون من ليس من بني إسرائيل كُفُوَ الإسرائيلْية» .

ومذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أن جميع العرب أَكْفَاء لبعضهم ، كما أن جميع العجم أَكْفاء لبعضهم .

واعتُبر النسب في الكفاءة ؛ لأن العرب تَفتَخر به .

واعلم أن الأحاديث الواردة في فضل قريش ، ثم في فضل بني هاشم ، كثيرة جدًّا ، وليس هذا موضعَها .

وأما العقلُ الدالُّ على فضل العرب :

فقـد ثبت بالتـواتـر المحسـوس المشاهَدِ أنَّ العرب أكثرُ النـاسِ سخاء ، وكرماً ، وشجاعة ، ومروءةً ، وشهامةً ، وبلاغةً ، وفَصاحـةً ، ولسـانُهم أتمُّ الألسنـة بياناً ، وتمييزاً للمعاني جمعاً وفرقاً ، بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع ، ويميز بين كل لفظين مشتبهين بلفظ آخر مختصر ، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي ، ومَن كان كذلك ، فالعقلُ قاضٍ بفضله قطعـاً على مَن ليسَ كذلك ، ولهم مكارمُ أخلاقٍ محمودةٍ لا تَنحصر ، عَزيزةٌ في أنفسهم ، وسجيةٌ لهم جُبِلُوا عليها ،

لكنْ كانوا قبلَ الإسلام طبيعةً قابلةً للخير، ليس عندهم علمٌ مُنَزَّلٌ من السماء، ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب؛ أو الحساب، أو المنطق، ونحوه، إنَّما علمهم ما سمحت به قرائحُهم من الشعر والخُطَب، أو ما حفظوه من أنسابهم، وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء، والنجوم، أو الحروب، فلما بعثَ الله محمداً ﷺ بالهُدى الذي ما جعل الله في الأرضِ مثلَهُ، تلقَّوْهُ عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية، التي كانت قد أَحالَتْ قُلوبَهم عن فطرتها، فلما تَلَقَّوْا عنه ذلك الهُدى، زالت تلك الريونُ عن قلوبهم، واستنارَتْ بهدي الله، فأخذوا هذا الهَدْيَ العظيم بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع لَهم الكمالُ التامُّ بالقوة المخلوقة فيهم، والهدي الذي أنزله عليهم، ثم خَصَّ قريشاً على سائر العرب؛ بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغيرِ ذلك من الخصائص، ثم خصَّ بني هاشم بتحريم الصدقة، واستحقاق قسط من الفيء، إلى غير ذلك من الخصائص، فأعطى الله سبحانه (لهم)[1] درجةً من الفضل بحسبها، والله عليم

---

(١) مطموسة في «الأصل».

حكيم: ﴿اللهُ يَصْطَفي مِن المـلائِكَـةِ رُسُلًا ومِنَ النَّـاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالاتِهِ﴾(١).

واعلم أنه ليس فضلُ العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم؛ بمجرد كون النبي ﷺ منهم كما يُتَوَهَّم، وإن كان هو عليه السلام قد زَادَهم فضلًا وشرفاً بلا ريب، بل هُم في أنفسهم أفضلُ وأشرفُ وأكملُ، وبذلك ثَبَتَ له عليه السلام: «أنا أفضلُ نفساً ونَسَباً»(٢)، وإلا لَلَزِمَ الدَّوْرُ(٣)، وهو باطل.

وبالجملة، فالذي عليه أهلُ السنة والجماعة اعتقادُ أنَّ جنسَ العربِ أفضلُ من جنس العجَمِ؛ عِبرانِيِّهم، وسريانِيِّهم، ورومهم، وفرسهم، وغيرهم، وأن قريشاً أفضلُ العرب، وأنَّ بني هاشم أفضلُ قريش، وأنَّ رسولَ الله ﷺ أفضلُ بني هاشم، فهو أفضلُ الخَلْقِ أجمعينَ، وأشرفُهم نسباً وحَسباً، وعلى ذلك دَرَجَ السلف والخَلَفُ.

---

(١) الأنعام: ١٢٤، وقرأ ابن كثير وحفص: ﴿ورسالته﴾، وأما الباقون، فكما أثبتها المصنِّف، وانظر «حجَّة القراءات» (ص٢٧٠) لابن زنجلة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو ترتيب شيء على شيء بحيث لا يكون هذا إلا إذا كان ذاك.

قال أبو محمد حرب بن إسماعيل الكِرْماني[1] صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدىٰ بهم فيها.

قال: وأدركتُ من أدركتُ من أهلِ العراق، والحجازِ، والشامِ، وغيرهم عليها، وأنّ مَن خالفها، أو طَعَنَ فيها، أو عابَ قائِلَها، فهو مبتدعٌ، خارجٌ عن الجماعةِ، زائلٌ عن منهج السنة، وسبيلِ الحق.

وساق كلاماً طويلاً إلى أن قال: ونعرفُ للعرب حقَّها وفضلَها وسابقَها، ونُحِبُّهُم لحديث رسول الله ﷺ: «حبُّ العَرَب إيمان، وبغضهم نفاق»[2]، ولا نقول بقول الشعوبية، وأراذل الموالي الذين لا يُحِبون العرب، ولا يُقِرُّون بفضلهم، فإنَّ قولهم بدعة وخلاف.

---

(١) توفي سنة (٢٨٠ هـ)، ترجمته في «طبقات الحنابلة» (١ / ١٤٥)، ونقل ذلك عنه ابن تيمية في «الاقتضاء» (١ / ٣٧١ ـ ط٢).

(٢) أخرجه العُقيلي في «الضعفاء» (٤ / ٣٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٣٣)، والحاكم (٤ / ٨٧)، وإسناده ضعيف جداً، فيه الهيثم ومعقل، وهما ضعيفان، بل الأول متروك.

وقد وردت أحاديثُ تؤيِّد مذهبَ أهل السنة والجماعة:

روى الحاكم، عن أنس، عن النبي ﷺ: «حب العرب إيمان، وبغضهم كفر، فمن أحبَّ العرب فقد أحبَّني، ومن أبغضَ العربَ فقد أبغضَني»[1].

وروى الطبراني، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «حبُّ قُريشٍ إيمان، وبغضهم كفر، وحبُّ العرب إيمان، وبغضهم كفر، فمن أحبَّ العرب، فقد أحبَّني، ومَن أبغَضَ العَرَبَ فقد أبغَضَني»[2].

وروى ابن عساكر، والسِّلَفي، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبُّ أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضُهما كفر، وحبُّ الأنصار من الإيمان، وبغضهم كفر، وحبُّ العرب من الإيمان، وبغضُهم كفر»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) نفسه، وانظر «مجمع الزوائد» (١ / ٨٩ و ١٠ / ٢٧).

(٣) وزاد السيوطي في «جمع الجوامع» (٣٢٧٠٣ - ترتيبه) نسبته للديلمي في «مسنده».

وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦٧٩): ضعيف جدًا.

وروى الترمذي وغيره، عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان! لا تُبْغِضْني، فتُفارِقَ دينَكَ». قلت: يا رسول الله! كيف أُبْغِضُكَ وبك هداني الله؟ قال: «لا تُبْغِضِ العرَبَ فتُبْغِضَني». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[1].

فجعل النبي ﷺ بغضَ العرب سبباً لفراق الدين، وجعل بغضهم مقتضياً لبغضه عليه السلام، ولعله إنما خاطب سلمان بهذا، وهو سابقُ الفُرْسِ[2]، وذو الفضائل المأثورة، تنبيهاً لغيره من سائر الفُرْس؛ لما علَّمه الله تعالى مِن أن الشيطانَ قد يدعو بعض النفوس إلى شيء من ذلك.

وهذا دليل على أن بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر، أو سبب للكفر، ومقتضاهُ أنهم أفضل من غيرهم، وأنَّ محبتهم سبب قوة الإيمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٢٠)، وأحمد (٥ / ٤٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٦٠٩٣)، وفي سنده قابوس، وهو ضعيف، وفيه انقطاع.

(٢) إشارة إلى ما رواه ابن سعد (٤ / ٨٢) عن الحسن مرسلاً، وهو ضعيف!

«أحِبُّوا العـرب وبقـاءَهم، فإنَّ بقـاءَهم نورٌ في الإسلام، وإنَّ فناءَهم فناءٌ في الإسلام».

رواه أبو الشيخ ابن حَيَّان[١].

وعن جابـر رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قال: «إذا ذَلَّتِ العربُ، ذَلَّ الإسلامُ».

حديث صحيح[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الناس تَبَعٌ لقريش في هذا الشأن، مسلمُهم تَبَعٌ لمسلمهم، وكافرُهم تَبَعٌ

---

(١) في «كتاب الثواب وفضائل الأعمال» كما أورده الحافظ العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (٥ / ٢)، وقال: ليس في إسناده محل نظر، إلا أنَّ محمد بن الخطاب بن جبير بن حية الثقفي الجبيري البصري ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، وإن أباه أبا حاتم قال: لا أعرفه. وقال الأزدي: منكر الحديث.
قلت: وانظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم ٥٧٨).

(٢) أنَّى له الصحة؟! فقد أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢ / ٣٤٠)، وفي إسناده محمد بن الخطاب المتقدم، وعلي بن زيد، وهـو ضعيف، وأورد الحـديثَ ابنُ أبي حاتم في «العلل» (٢ / ٣٧٦)، ونقل عن أبيه قوله: هذا حديث باطل، ليس له أصل.

لكافِرهم، والناسُ معادِنُ، خيارُهم [في الجاهلية خيارُهم] في الإِسلام إذا فَقِهُوا». صحيح متفق عليه(١).

وقال ﷺ: «الأنصار لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضُهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّه الله، ومَن أبغَضَهُم أبغَضَهُ الله».

حديث صحيح، أخرجه الأئمة الستة(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٣): «وقد رُويت في ذلك أحاديثُ، النُّكْرَةُ ظاهرةٌ عليها، كحديث الترمذي(٤) من حديث

---

(١) أخرجه البخاري (٦ / ٣٨٥)، ومسلم (١٨١٨)، وأحمد (٢ / ٢٤٣ و ٢٦١ و ٣٩٥ و ٤٣٣)، وما بين معكوفتين ساقط من «الأصل».

(٢) أخرجه البخاري (٧ / ٨٧)، ومسلم (٧٥)، والترمذي (٣٨٩٦)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٩٢ و ٢٨٣)، وفي «فضائل الصحابة» (١٤٥٥)، والطيالسي (٢ / ١٣٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٠١)، وابن مندة في «الإيمان» (٥٥٩).
قلت: ولم يروِهِ من الأئمة الستة إلا مَن ذكرتُ! وانظر «جامع الأصول» (رقم ٦٧١٣) لابن الأثير.

(٣) في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٥٧).

(٤) برقم (٣٩٢٤).

حُصين بن عمر، بإسناده، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن غَشَّ العَرَبَ لم يدخُلْ في شفاعتي، ولم تَنَلْهُ مودَّتي».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر.

قال ابن تيمية: حُصين هذا الذي رواه قد أنكر أكثرُ الحفاظ حديثَه؛

قال يحيى بن معين: ليس بشيء.

وقال ابن المديني: ليس بالقوي.

وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث.

وقال ابن عدي: عامة أحاديثه معاضيل، ينفرد عن كل مَنْ روى عنه.

[وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف جدًّا][1].

ومنهم من يجاوز به الضعف إلى الكذب.

وروى عبدالله بن أحمد في «مسند» أبيه[2] من طريق

---

(١) سقطت من «الأصل»، واستدركتها من «الاقتضاء».

(٢) (١ / ٨١).

إسماعيل بن عياش، عن زيد بن جَبيرة بإسناده عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُبغِضُ العربَ إلا مُنافقٌ».

قال ابن تيمية: وزيد بن جبيرة عندهم منكر الحديث، ورواية إسماعيل بن عيَّاش عن [غير][1] الشاميين مُضْطَرِبة.

وروى العُقَيلي في «الضعفاء»، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»[2]؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا العرب لثلاثٍ: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي».

قال الحافظ السِّلَفي: هذا حديث حسن.

قال ابن تيمية: فما أدري أراد حُسن إسناده على طريقة المحدثين، أو حُسن متنه على الاصطلاح العام؟

قال: وابنُ الجوزي ذكر هذا الحديث في

---

(١) سقطت من «الأصل»، واستدركتها من «الاقتضاء».

(٢) أخرجه العقيلي (٣ / ٣٤٨)، والطبراني (١١٤٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٤ / ٨٧)، وفي «معرفة علوم الحديث» (١٦١ - ١٦٢).

«الموضوعات»[1]، وقال: قال العُقَيْلي[2]: لا أصل له.

وعن أبي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: «أنـا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي».

قال الحاكم: حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات[3].

ومما يدل على فضل العرب أيضاً ما رواه البزَّار[4] بإسناده قال: قال سلمـان رضي الله عنـه: نُفَضِّلُكُم يا معشـر العـرب لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم؛ لا ننكح نساءَكُم، ولا نؤمُّكُم في الصلاة.

قال ابن تيمية: هذا إسنادٌ جيِّد.

قال: وقد رُوي من طريق آخر، عن سَلمان الفارسي رضي

---

(١) (٢ / ٤١).

(٢) في «الضعفاء» (٣ / ٣٤٩)، وقال قبلها: منكر.

(٣) موضـوع، وانـظر «اللآلىء المصنوعة» (١ / ٤٤٢)، و «مجمع الزوائد» (١٠ / ٥٢).

(٤) لم أجده في المطبوع من «كشف الأستار في زوائد البزار»!! وساقه ابن تيمية في «الاقتضاء» (١ / ٣٩٣ ـ ط٢) بسنده، ورجاله كلهم ثقات، إلا أن فيه أبا إسحاق، وهو مختلط.

الله عنه أنه قال: فَضَلْتُمُونا يا معشرَ العرب باثنتين: لا نؤمُّكُم، ولا نَنْكِحُ نساءَكم. ورواه سعيدٌ في «سننه»[1]، وغيره.

وهذا الحديث مما احتجَّ به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي، قائلينَ: فلا تُزَوَّجُ عربيةٌ بعجمي.

قال الفقهاء في تعليل ذلك: لأنَّ الله تعالى اصطفى العرب على غيرهم، وميَّزهم عنهم بفضائل جمة.

واحتجَّ أصحاب الإمام الشافعي والإمام أحمد بهذا على أن الشرف مما يُسْتَحَقُّ به التقديم في الصلاة.

ولما وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان للعطاء، كتب الناس على قدر أنسابهم، فبدأ بأقربهم نسباً إلى رسول الله ﷺ، فلما انقضت العرب، ذَكَرَ العَجم، هكذا كان الديوان على

---

(١) يعني «سنن سعيد بن منصور»، ولم يُطبع منه إلا قطعة في مجلَّدين صغيرين.

وكذا رواه العَدَني في «مسنده» كما في «الاقتضاء».

وفيه أبو إسحاق أيضاً، إلا أن الثوري روى عنه قبل الاختلاط، فسنده صحيحٌ.

عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بني أمية، والخلفاء من بني العباس، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك.

وذَكَرَ غيرُ واحد أن عمر بن الخطاب حين وضع الديوان، قالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه؟ فقال: لا، ولكن ضَعُوا عُمَرَ حيث وضَعَهُ الله تعالى. فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ، ثم مَن يليهم، حتى جاءت نوبتُه من بني عدي، وهم متأخِّرون عن أكثر بطون قريش.

فانظر إلى هذا الإنصاف من عمر، حيث عرف الحقَّ لأهله، وبموجب هذا الاتباع للحق ونحوه قدَّمه على عامة بني هاشم؛ فضلاً عن غيرهم من قريش.

فظهر بما تقرر أن جنس العرب أفضلُ من جنس العجم، وأن حبَّ العرب من الإيمان، وبغضهم نفاق، أو كفر، وعلى هذا دَرَجَ السَّلَفُ والخلف كما تقدم لك ذكره.

واعلم وفَّقَكَ الله تعالى أنَّ فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص من حيثُ الدِّينُ الذي هو المقصود الأعظم، وإن استلزَمَها من حيثُ الكفاءةُ، وهنا مزلَّةُ أقدامٍ، وهو أن كثيراً يتوهَّمُ أن شَرَفَ النَّسَبِ أفضل من شرف العلم، ويقول: إن الشرف

الذاتي أفضلُ من الشرف الكَسْبي، وبعضُهم يعكِس، وأظنُّ أن كِلا الفريقين لا يَعرِف تحقيق وجه الأفضلية!!

والصواب: التفضيلُ، وعدم الإطلاقِ. وهو أن شرف النسب أفضلُ من حيثُ الكفاءةُ، فلا يكافِىء عُجْمِيٌّ عالِمٌ بنتَ عربيٍّ جاهِلٍ، وإنَّ الزوجة الأمَة المُسلمة لا تُساوي من حيثُ القِسْمُ الزوجةَ الحُرَّةَ اليهوديةَ أو النصرانية، فللحرة ليلتان، وللأمة ليلة، إلى غير ذلك من الأحكام.

وشرفُ العلم أفضلُ من حيثُ التقدمُ في الصلاة، ومنصبُ الإفتاء، والقضاء، وغير ذلك، وينظر في منصب الخلافة والإمامة العظمى؛ فهل يستحقها قرشي[1] جاهل أو عجمي فاضل، وهذا كلُّه مع الاتصاف بتقوى الله تعالى، وإلَّا، فالعالم الفاسق كإبليسَ، والعربي الجاهل كفرعونَ، وكلاهُما مذمومٌ.

وأيضاً؛ فمن اغترَّ في الكفاءة بشرف النسب، فيُقال له: إن العجمي وإن كان ليس كفءاً للعربية، فالعربي الفاسق أيضاً

(١) انظر تفصيل ذلك في «الفِصَل» (٤ / ٨٩)، و «مقالات الإسلاميين» (٢ / ١٣٤)، و «مآثر الأنافة» (١ / ٣٨)، و «منهاج السنة النبوية» (٢ / ٨٥)، و «الأحكام السلطانية» (٢٠).

ليس كفـءاً للعجمية المرضية، فإنَّ الشرع أيضاً يعتبر في الكفاءة منصبَ الـدينِ، كما يعتبر منصبَ النَّسَبِ، ولا يكافىء العربيُّ الجاهلُ بنتَ العالِم، صرَّحَ بذلك الشافعية.

إذا علمتَ هذا، فاعلم أنَّ الـذي يُرْجَع إليه، ويُعَوَّلُ في الفضل عليه، هو الشرف الكَسبي الذي منه العلم والتقوى، وهو الفضـل الحقيقي، لا مجـرد الشـرف الذاتي، الذي هو شرف النسب، بشهـادة القـرآن، وشهادة النبي عليه السلام، وشهادة الأذكياء من الأنام.

كُنِ ابـنَ مَنْ شِئْـتَ واكْـتَسِبْ أَدَبـاً
يُغْـنيكَ مَضْـمـونُـهُ عنِ الـنَّسَـبِ
إنَّ الــفَــتَـى مَن يَقُــولُ ها أَنــا ذا
لَيْسَ الــفَـتـى مَن يقــولُ كانَ أَبـي

فمن الغرور الواضح، والحمق الفاضح، أن يفتخر أحدُ من العرب على أحد من العجم بمجرَّد نَسَبه، أو حَسَبِه، ومَنْ فَعَل ذلك، فإنَّه مخطىءٌ، جاهلٌ، مغرورٌ، فرُبَّ حبشيٍّ أفضل عند الله تعالى من ألوف من قريش.

قال الله تعالى في مثل ذلك: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ

مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْناكُم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللهِ أَتْقاكُم﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ولَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ ولَوْ أَعْجَبَكُم . . . ولأمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةٍ ولوْ أَعْجَبَتْكُم﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿هَلْ يَسْتوي الذينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لا يَعْلَمونَ﴾(٣) .

وقال : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُمْ والذينَ أُوتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ﴾(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات .

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «إنَّ الله تعالى قد أَذهب عنكم عُبِّيَّةَ(٥) الجاهلية ، وفخرَها بالآباء ، [الناس رجلان :] مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، لَيَدَعَنَّ

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) البقرة : ٢٢١ .

(٣) الزمر : ٣٩ .

(٤) المجادلة : ٥٨ .

(٥) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣ / ١٦٩) : يعني الكِبْر .

رجالٌ فخرَهم بأقوام، إنما هو فحم من فحم جهنم، أو لَيَكونُنَّ أهونَ على الله من الجِعْلانِ التي تدفعُ بأنفها النتن».

رواه أبو داود وغيره.

قال ابن تيمية[1]: وهو صحيح.

وفي حديث آخر بإسناد صحيح؛ أن النبي ﷺ قال في خطبته بمنى: «يا أيُّها الناسُ! ألا إنَّ ربَّكُم عزَّ وجلَّ واحد، ألا وإنَّ أباكُم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربي على عجمي، ألا لا فضلَ لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى، ألا قد بلغت»[2]؟ قالوا: نعم. قال: «ليبلغِ الشاهدُ الغائبَ».

وروى مسلم في «صحيحه»[3] أن النبي ﷺ قال: «إني أوحيَ إلي أن تواضعوا حتى لا يفخَرَ أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

---

(١) في «الاقتضاء» (ص٧٣)، وأخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٠ و ٣٩٥١)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٤١١)، وهو كما قال المصنف.

(٣) برقم (٢٨٦٥) (٦٤)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧ / ٣٦٥)، عن عياض بن حمار.

فنهى الله سُبحانه وتعالى على لسان رسوله عن نوعي الفخر والبغي اللذين هما الاستطالةُ على الخلق، فمن استطالَ بحق، فقد افتخر، وإن كان بغير حق، فقد بغى، ولا يحلُّ هذا ولا هذا.

ولو كان الفخر بالحسب والنسب، لكان لليهودِ فخرٌ، وأيَّ فخر، فهم أولادُ يعقوبَ إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله[1] بن

---

(١) وهذا قولٌ مَرجوحٌ كما بيَّنَه المحقِّقون مِن أهل العلم، ولعلَّ المصنِّف رحمه الله قال ذلك اعتماداً على بعض ما ورد في ذلك من أحاديثَ. وكلُّها ضعيفةٌ من حيثُ النَّقْد، انظر لها «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم ٣٣٢ - ٣٣٧).
وقد أبطل العلاَّمة ابنُ القَيِّم هذا القولَ بأكثر من عشرين وجهاً، ذكر زُبدةً مفيدةً منها في كتابه المُسْتطاب «زاد المَعَاد» (١ / ٢١)، فليراجع.
والصوابُ في هذا أنَّ الذَّبيحَ إسماعيلُ عليه السلام، وللسيوطي رحمه الله رسالةٌ في هذه المسألة سَمَّاها «القول الفَصيح في تَعْيين الذَّبيح»، وهي مطبوعةٌ ضِمْن «الحاوي للفتاوي» (١ / ٣١٨)؛ إلَّا أنه اختار التوقُّف!!
وكأنَّ العلاَّمة المُحِبّي عارَضَه برسالة سمَّاها «القول المليح في تعيين الذبيح»، أشار إليها في كتابه «جَنَى الجنَّتين..» (ص٥٠)، أيَّد فيها القول بأنَّ الذبيحَ إسماعيل، والله الموفِّق.

إبراهيم خليل الله، إنما الفخر بتقوى الله وطاعته؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ولهذا قال ﷺ: «يا فاطمةَ بنتَ محمد، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله: لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أُغني عنك من الله شيئاً»(١).

ففي ذلك تنبيهٌ منه عليه السلام لمن انتسب لهؤلاء الثلاثة أن لا يغترُّوا بالنسب، ويتركوا الكلم الطيب والعمل الصالح.

نَعَم؛ من اتقى الله تعالى من العرب، فقد حاز فضيلة التقوى وفضيلة النسب، ومن لم يتقِ الله، فهو إلى البهائم أقربُ.

قالَ الله تعالى: ﴿إنْ هُمْ إلا كالأنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ولَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ﴾(٣).

فالفضل الحقيقي هو اتِّباع ما بعث الله تعالى به محمداً من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً، لا أنه مجرد كون الشخص عربيًّا،

---

(١) أخرجه البخاري (٨ / ٣٨٦)، ومسلم (٢٠٦)، والترمذي (٣١٨٤)، والنسائي (٦ / ٢٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) الفرقان: ٤٤.

(٣) البقرة: ٢٢١.

أو عجميًّا، أو أسودَ، أو أبيضَ، أو بدويًّا، أو قَرَويًّا.

وفي «الصحيحين»: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأُنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخَرينَ مِنْهُم لَمَّا يَلْحَقوا بهِم﴾[١]، فقال قائل: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوَضَعَ رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمانُ عند الثُّريّا، لنالَهُ رجالٌ مِن هؤلاء»[٢].

وفي «صحيح مسلم»[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثُّريا، لذهب به رجلٌ من فارس»، أو قال: «من أبناء فارس».

وفي رواية ثالثة: «لو كان العلمُ عند الثُّريا، لتناوله رجال من أبناء فارس»[٤].

---

(١) الجمعة: ٣.

(٢) أخرجه البخاري (٨ / ٤٩٢)، ومسلم (٢٥٤٦) (٢٣١)، والترمذي (٣٩٢٩)، وأحمد (٢ / ٤١٧)، والبغوي (٣٩٩٨).

(٣) برقم (٢٥٤٦) (٢٣٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٤٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦ / ٦٤)،

وروى الترمذي، عن أبي هريرة أيضاً، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَتَوَلَّوْا يستَبْدِلْ قوماً غيرَكُم﴾[1]: «إنهم من أبناء فارس»[2].

إلى غير ذلك من آثار رُويت في فضل رجال من أبناء فارس الأحرار والموالي، مثل: الحسن، وابن سيرين، وعِكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم ممن وجد بعد ذلك فيهم من الراسخين في الإيمان والدين والعلم، بحيث صاروا في ذلك أفضلَ من كثير من العرب.

وكذلك في سائر أصناف العجم من الروم والترك والحبشة، فإنَّ الفضل الحقيقي هو اتِّباع ما بعث الله به محمداً ﷺ كما تقدم، ولهذا كان الذين تَناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل لهم ذلك بمتابعتهم الدينَ الحنيفَ ولوازمه من

وأورده السيوطي في «الجامع» (٧٤٦٤)، وزاد نسبته للشيرازي في «الألقاب»، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

(١) محمد: ٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦ و ٣٢٥٧)، وفيه ضعف، وانظر «تفسير ابن كثير» (٤ / ١٨٢).

العربية وغيرها، ومَنْ نقص من العرب فإنما هو بتخلُّفهم عن مثل ذلك، ولهذا كانوا يُفَضِّلون من الفرس من رواه أقرب إلى متابعة السابقين من الصحابة والتابعين، حتى قال الأصمعي فيما رواه عنه أبو طاهر السِّلَفي في كتاب «فضل الفرس»، قال: عجم أصبهان قريش العجم.

وروى أيضاً السِّلَفي بإسناد معروف، عن سعيد بن المسيِّب قال: لو أنِّي لم أَكُن من قريش، لأحببت أن أكون من فارس، ثم أحببت أن أكون من أصبهان.

وروى بإسناد آخر عن سعيد بن المسيب قال: لولا أني رجل من قريش، لتمنيت أن أَكونَ من أهل أصبهان؛ لقول النبي ﷺ: «لو كان الدين معلقاً بالثُّريَّا، لتناوله ناسٌ من أبناء العجم»[١]، أسعد الناس بها فارس وأصبهان.

قالوا: وكان سلمان الفارسي من أهل أصبهان، وكذلك عكرمة مولى ابن عباس، وآثار الإسلام كانت بأصبهان أظهر منها بغيرها، حتى قال الحافظ عبدالقادر الرُّهاوي[٢]: ما رأيتُ بلداً

(١) تقدم تخريجه.

(٢) المتوفى سنة (٦١٢)، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٢ / ٧١).

بعد بغدادَ أكثر حديثاً من أصبهان.

وكان أئمة السنة علماً وفقهاً وحديثاً فيها أكثر من غيرها، وانظر الآن كيف أصبحت دارَ بدعةٍ، وتحت سلطان الرافضة المخذولين[1]، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والدنيا دارُ تَغَيُّر وانقلابٍ.

واعلم أن العربَ الذين هم سكان القرى والأمصار أفضلُ من الأعراب الذين هم سكان البادية، فإنَّ الله سبحانه جعل سكنىٰ القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين ورقة القلوب ما لا يقتضيه سكنى البادية، كما أن البادية تُوجب من صلابة البدن والخُلُق، ومتانة الكلام ما لا يكون في القرى، هذا هو الأصل، وقد تكون البادية أحياناً أنفعَ من القرى، ولذلك جعل الله تعالى الرسلَ من أهل القرى، فقال سبحانه: ﴿وما أَرْسَلْنا من قَبْلِكَ إلا رِجالاً نوحِي إليهمْ مِن أهلِ القُرى﴾[2].

---

(١) فكيف في زماننا؟!

(٢) يوسف: ١٠٩، ووقع في «الأصل»: يوحي؛ بياءَين، وقرأ حفص: نوحِي؛ بالنون وياء، والباقون؛ بالياء والقصر: يُوحَىٰ، على البناء للمجهول. وانظر «حجة القراءات» (٣٦٥) لابن زنجلة.

ولهذا قال سبحانه: ﴿الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفراً ونِفاقاً وأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَموا حُدودَ ما أَنْزَلَ اللهُ على رسولِهِ﴾[1].

وروى أبو داود وغيره، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن»[2].

ورواه أبو داود[3] أيضاً من طريق أخرى عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمعناه، قال: «ومَن لَزِمَ السُّلْطانَ افْتُتِنَ»، وزاد: «وما ازدادَ عبدٌ مِن السُّلْطانِ دُنُوًّا إلا ازدادَ مِن الله بعداً»[4].

ولهذا كانوا يقولون لمن يستغلظونه: إنك لأَعْرابيٌّ جافٍ، إنَّك لَجَلِفٌ جافٍ، يشيرون بذلك إلى غِلظ طَبْعه وخُلُقه.

واعلم أنَّ لفظ الأعـراب[5] هو في الأصـل لسكَّـان بادية

---

(١) التوبة: ٩٧.

(٢) رواه أبـو داود (٢٨٥٩)، والترمـذي (٢٢٥٧)، والنسـائي (٧ / ١٩٥)، وفيه ضعف، لكن قال المناوي في «فيض القدير» (٦ / ١٥٤): له عند البزار سند حسن. فلعلَّه يتقوَّى به.

(٣) برقم (٢٨٦٠).

(٤) في «الأصل» هنا: إلا، وهي وهم من الناسخ.

(٥) انظر «تاج العروس» (١ / ٣٧١).

العرب، وإلا فكلُّ أمة لها حاضرة وبادية، فبادية العرب الأعراب، وبادية الروم الأرمن، وبادية الفرس الأكراد، وبادية الترك التركمان، فسائر سكان البوادي لهم حُكْمُ الأعراب، سواءٌ دخلوا في لَفْظِ الأعرابِ أم لم يدخلوا، فجنس الحاضرة أفضلُ من جنس البادية، وأما باعتبار الأفراد، فقد يوجد من أهل البادية ما هو أفضلُ من ألوف من أهل الحاضرة.

تنبيه:

ذَكَرَ شيخُ الإسلام الحافظ تقيُّ الدين بن تَيْمِيَّة[1] رحمه الله أن اسم العرب والعجم قد صار فيه اشتباهٌ، فإن اسم العجم يعمُّ في اللغة كلَّ مَن ليس مِن العرب، لكنْ لما كان العلمُ والإيمان في أبناء فارس أكثرَ منه في غيرهم من العجم، كانوا هم أفضلَ الأعاجمِ، فغلب لفظُ العجم في عرف العامة المتأخرين عليهم، فصار حقيقةً عرفيةً عاميةً فيهم.

قال: واسمُ العرب في الأصلِ كان اسماً لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف:

أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية.

---

(١) في «الاقتضاء» (١٦٥).

الثاني: أنهم كانوا من أبناء العرب.

الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهي من بحر القلزم إلى بحر البصرة، ومن أقصى حِجْر باليمن إلى أوائل الشام. وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله، فلما جاء الإسلام، وفُتحت الأمصار، سكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وإلى سواحل الشام وأرمينية، وهذه كانت مساكنَ فارس، والروم، والبربر، وغيرهم، ثمَّ انقسمت هذه البلاد قسمين:

منها ما غلب على أهله لسان العرب، حتى لا يَعرف عامتُهم غيره، أو يعرفونه وغيره، مع ما دخل في لسان العرب من اللَّحن، وهذا غالب مساكن الشام، والعراق، ومصر، والأندلس، والمغرب. قال: وأظن أرضَ فارس وخراسان كانت هكذا قديماً.

ومنها ما العجمةُ كثيرةٌ فيهم، أو غالبةٌ عليهم كبلاد الترك وخراسان وأرمينية وأذربيجان ونحو ذلك.

وقد روى الحافظ السِّلَفي[1] بإسناده، عن أبي هريرة رضي

(١) في «فَضْل العرب» ـ كما في «الاقتضاء» (١ / ٤٠٥) ـ مِن طريق هشام بن حسَّان، عن الحسن، عنه.

وسندُهُ ضعيفٌ لضعف رواية هشام عن الحسن، وكذا عنعنة

الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَن تَكَلَّمَ بالعربية فهو عربي، ومن أُدْرِكَ له أبوانِ في الإسلامِ فهو عربي».

قال: فهنا إن صَحَّ هذا الحديثُ، فقد علّقت فيه العربية بمجرد اللسان، وعلّق فيه النسب بأن يُدْرَكَ له أبوانِ في الدولة الإسلامية العربية.

وقد يحتج بهذا القول أبو حنيفة في قوله: إن من ليس له أبوان في الإسلام، أو في الحرية، ليس كُفءاً لمن له أبوان في ذلك، وإنِ اشتركا في العجمية والعتاقة.

ومذهب أبي يوسف: ذو الأب كذي الأبوين، وهو مذهب الشافعية، حتى قالوا: إن الصحابي ليس كُفْءاً لبنت التابعي.

ومذهب الإمام أحمد أنه لا عبرة بذلك.

وروى السِّلَفي أيضاً بإسناده.. وفيه: فَصَعَدَ عليه السلام المنبر، فحمد الله، وأثْنى عليه، ثم قال: «أما بعد: أيُّها الناس، فإنَّ الربَّ واحد، والأبَ واحد، والدينَ دينٌ واحد، وإنَّ العربيةَ ليست لأحدكم بأب ولا أم، إنما هي لسانٌ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»(١).

الحسن. وروى الديلمي (٥٧٨٩) الشطر الثاني عن أنس بدون سند!

(١) رواه بحشل في «تاريخ واسط» (ص٢٥١ ـ ٢٥٢)، وكذا ابن عساكر

قال ابن تيمية[1] : وهذا الحديث ضعيفٌ، لكنَّ مَعْناهُ ليس ببعيد، بل هو صحيح[2] من بعض الوجوه.

ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغةُ أهلِها روميةٌ وقبطيةٌ، وأرضَ العراقِ وخُراسانَ، ولغةُ أهلِها فارسيةٌ، وأرضَ المغربِ، ولغةُ أهلِها بربرية، عوَّدوا أهلَ هذه البلادِ العربيةَ، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار؛ مسلمِهم وكافِرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً، ثمَّ إنَّهم تساهلوا في أمر اللغة العربية، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربيةُ مهجورةً عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، وإنما الحَسَنُ اعتيادُ الخطاب بالعربية حتى يُلَقَّنَها الصغار في المكاتِبِ وفي الدور، فيظْهَرَ شعارُ الإسلامِ وأهله، ويكون ذلك أسهلَ على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب

= (٧ / ٢٠٣ / ٢)، وهو موضوع، في إسناده أبو بكر الهُذلي، كذَّبه غير واحد، وانظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم ٩٢٦).

(١) بل موضوع كما أشرت، ولعلَّه ما يُريده شيخ الإسلام، فإنه قال بعدها: وكأنه مركَّب على مالك!

قلت: والتركيب هو الوضع في اصطلاح المحدثين.

(٢) أي: المعنى.

والسنة وكلام السَّلَف، لا سيما ونفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجب، **فإنَّ فهمَ الكتابِ والسنةِ فرضٌ، ولا يُفهَمُ إلا بفهمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به، فهو واجب، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيانِ، ومنها ما هو واجب على الكفاية**[1].

وقد روى ابن أبي شيبة بإسناده قال: كتب عُمَرُ إلى أبي موسى رضي الله عنهما: أما بعد: فتفَقَّهُوا في السنة، وتفقَّهوا في العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربيَ.

وفي لفظ آخر عن عمر: تعلموا العربية، فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض، فإنها من دينكم.

وأما الرَّطَانَةُ التي هي التكلمُ بغير العربية تشبُّهاً بالأعاجم، فقد قال عمر بن الخطاب: إيَّاكم ورطانةَ الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يومَ عيدِهم في كنائسهم.

وفي لفظ آخر عن عمر رضي الله عنه: لا تَعَلَّموا رطانةَ الأعاجِم، ولا تَدْخُلوا على المشركينَ في كنائِسهم يومَ عيدِهم، فإنَّ السخطةَ تنزل عليهم.

---

(١) وهذا كلام لطيف جدًّا، يجب على طلبة العلم تأمله جيداً!

وقال الإمام مالك فيما رواه ابن القاسم في «المدونة»: لا يُحرِم بالأعجمية ولا يدعو بها ولا يحلف.

قال: ونهى عمر رضي الله عنه عن رطانةِ الأعاجم[1].

وسُئل الأمام أحمد عن الدعاء في الصلاة بالفارسية، فكرهه، وقال: لسان سوء. ومذهبُه أن ذلك يُبطل الصلاةَ، وكره الإمام الشافعي لمن يعرف العربية أن يُسَمَّى بغيرها، أو أن يتكلم بها خالطاً بالعجمية، وهو ظاهر كلامه، وقد حكاه عنه ابن عبدالحكم.

وقد روى السِّلَفي بإسناده، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يُحْسِنُ أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالعجمية، فإنه يورث النفاق»[2].

ورواه أيضاً بإسناد آخر، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كان يُحْسِنُ أن يتكلم

(١) انظر تعليقي على رسالة «تشبه الخسيس بأهل الخميس» (ص٣٢) للذهبي، طبع دار عمار.

(٢) وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤ / ٨٧). وفي إسناده عمر بن هارون البلخي، متروكٌ.

بالعربية، فلا يتكلم بالفارسية، فإنها تُورِثُ النفاق»[1].

وهذان الحديثان يقتضيان تحريمَ الكلامِ بالعجمية لقادر على العربية إلا لحاجة.

والمختار أن ذلك مكروه.

قال ابن تيمية[2]: «ونُقل عن طائفة أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، والكلمةُ بعد الكلمةِ من العجمية أمرها قريب، وأكثر ما كانوا يفعلون ذلك إما لكون المخاطَبِ أعجميًّا، [أو قد اعتاد العجمية].

قال: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعارُ الإسلام، ولغةُ القرآن، حتى يصير ذلك عادةً للمِصْرِ وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريبَ أنَّ هذا مكروهٌ، فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه، لا سيَّما واللسان العربي شِعارُ الإسلام وأهلِه، واللغاتُ من أعظم شعائر الأمم التي بها

(١) نفسه.

(٢) في «الاقتضاء» (ص٢٠٥ ـ ٢٠٦)، والمصنف يلخص ما ينقله، وما بين معكوفين مستدركٌ من «الاقتضاء»، فالمعنى لا يتم إلا به.

يتميزون، وقد قال الحنفية في تعليل المنع من لباس الحرير في «حجة» أبي يوسف ومحمد على أبي حنيفة في المنع من افتراش الحرير وتعليقه والستر به: لأنه من زِيِّ الأكاسرة والجبابرة، والتشبهُ بهم حرام.

قال عمر: إياكم وزِيَّ الأعاجم.

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلي قدس الله سره: «ويُكْرَهُ كلُّ ما خالف زِيَّ العرب وأَشْبَهَ زِيَّ الأعاجم».

وقال: «وإذا قُدِّم ما تُغسل فيه الأيدي، فلا يُرفع حتى تغسِلَ الجماعةُ أيديَها، لأن الرفع من زي الأعاجم».

لا سيما وقد ورد أن كلام أهل الجنة بالعربية، لقوله عليه السلام: «أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي»[1].

بل ورد أنه لم ينزل وحيٌ على نبي من الأنبياء إلا بالعربية، لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما أنزل الله عز وجل وحياً قطُّ على نبيٍّ من الأنبياء إلا بالعربية، ثم يكون بعد ذلك النبي يبلغ

---

(١) تقدم تخريجه.

قومه بلسانهم» .

رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وقال [الهيثمي]: حديث حسن صحيح[1] ورجاله كلهم ثقات، والله أعلم .

□□□

(١) كذا نقله المصنفُ! وهو عجيبٌ، ففي «المجمع» (١٠ / ٥٣) بعد عزوِهِ: «وفيه سُليمان بن أرقم، وهو ضَعيفٌ» .
وهو الصوابُ .

خاتمة

روى البخاري في «صحيحه»[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي ما أخذَ القرونُ شبراً بشبر، وذراعاً بذراع». فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ قال: «ومَنِ الناسُ إلا أولئكَ»!

فأخبر عليه السلام أنه سيكون في أمته مضاهاةٌ لفارس والروم، وهم الأعاجم، فالتشبه بفارس والروم ممَّا ذمه الله ورسولُه، لأن الغالب عليهم تعاطي أمور من أفعال الجبارين والمتكبرين في الملبس، والعمائم، والقيام، والركوع، أو السجود لبعضهم، أو القيام بين يديه، وهو جالس إلى غير ذلك من الخصائل المذمومة.

وقد قال عليه السلام: «مَن تشبَّهَ بقومٍ، فهو منهم»[2].

---

(١) (١٣ / ٢٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢ / ٥٠ ، ٩٢)، والطحاوي في =

وإنمـــا نهتِ الشــريعـةُ عن التشبـه بمن ارتكب خلاف الشرع؛ لأنه كلما كانت المشابهة أكثرَ، كان التفاعلُ في الأخلاق والصفات أتَمَّ وأكمَلَ، حتى يؤولَ الأمر إلى أن لا يتميز أحدُهما عن الآخـر، إلا بالعين فقط، وهذا أمر محسوس في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، بل الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان، اكتسب بعضَ أخلاقهِ، ولهذا صار الخُيَلاء والفخر في أهل الإبل، والسكينة في أهل الغنم، وصار الجمَّـالـون والبغَّـالون فيهم أخلاقٌ مذمومةٌ من أخلاق الجِمال والبِغـال، وكـذلك الكلاَّبون، وصار الحيوان الإنسي فيه بعضُ أخلاق الناس من المعاشرة، والمؤالفة، وقلة النفرة.

قال ابن تيمية بعد تقريره هذا الكلام[1]: «وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقلَّ كفراً من غيرهم، كما رأينـا المسلمين الذين أكثروا معاشرة اليهود والنصارى هم أقلَّ إيماناً من غيرهم».

= «مشكل الآثار» (١ / ٨٨)، وعلَّقه البخاري في «صحيحه»، كلهم عن ابن عمر، وإسناده حسن. وقد خرَّجته بتوسُّع في تعليقي على «الحكم الجديرة بالإذاعة..» (ص١٥)، لابن رجب.

(١) في «الاقتضاء» (ص٢٢٠).

والمُشـابهـة والمُشاكلة في الأمور الظاهرة تُوجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المُسارَقة والتدريج الخفي، فينشأ عنها الأخلاق والأفعالُ المذمومة، بل في نفس الاعتقادات.

وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر ويتعذر زواله بعد حصوله.

وقد روى الإمام أحمد في «المسند»[1] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: عليكم بالمَعَدِّيَّة، وذروا التَّنَعُّم وزِيَّ العجم.

أَمَر بالمعَدِّيَّة، وهي زِيُّ مَعَدٍّ بن عدنان[2]، وهم العرب، فالمَعَدِّيةُ نسبةٌ إلى مَعَدٍّ.

وقال الإمام مالك فيما رواه ابن القاسم في «المدونة»: قيام المرأة لزوجها حتى يجلس من فعل الجبابرة، وربما يكون الناس ينتظرونه، فإذا طلع، قاموا، فليس هذا من فعل الإسلام، وهو مما يُنهى عنه من التشبُّه بالأعاجم.

---

(١) (١ / ٤٣) وسنده صحيحٌ.

(٢) انظر «نهاية الأرب» (٤٢٤) للقلقشندي.

قال: ويُكْرَه ترك العمل يوم الجمعة، كفعل أهل الكتاب في السبت والأحد.

قيل له: فالرجل يقوم للرجل له الفضل والفقه؟ قال: أكره ذلك. ولا بأس أن يوسَّعَ له في المجلس.

وقال أنس رضي الله عنه: لم يكن شخصٌ أحبَّ إلى الصحابة من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه، لم يقوموا له، لما يعلموه من كراهيته لذلك[1].

وقد ثبت في «الصحيح»[2] من حديث جابر أنه ﷺ صلَّى بأصحابه قاعداً لمرض كان به، فصلوا خلفه قياماً، فأمرهم بالجلوس، وقال: «لا تُعَظِّموني كما يعظِّمُ الأعاجم بعضهم بعضاً».

وقال: «مَن سَرَّهُ أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٦)، والترمذي (٢٧٥٥)، وأحمد (٢ / ٣٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢ / ٣٩)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٤١٣) بنحوه، وأخرجه بلفظ قريب من اللفظ الذي أورده المصنف أبو داود (٥٢٣٠) عن أبي أمامة بإسناد ضعيف.

من النار»[1].

وقال ابن تيمية: فإذا كان عليه السلام قد نهاهم مع قعوده، وإن كانوا قاموا في الصلاة، حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم، وبيَّنَ أنَّ مَن سره القيام له، كان من أهل النار، فكيف بما فيه من السجود له، أو وضع الرأس، وتقبيل الأيدي، ونحو ذلك؟

وبالجملة؛ فقد دخل في هذه الأمة من الآثار الرومية والفارسية قولاً وعملاً وتشبُّهاً ما لا خفاءَ به على مؤمن عليم بدين الإسلام، وليس الغرضُ هنا تفصيلَ الأمور التي وقعت في الأمة من ذلك، وإنما الغرضِ مجرد التلويح رجاءَ أن يقف عليه مؤمن موفق، فينتفع به، ويعمل بموجبه.

وفي الحديث: «ما ابتدعَ قومٌ بدعةً إلا نَزَعَ الله من السنة مثلها»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٦)، والطحاوي (٢ / ٤٠)، وأحمد (٤ / ٩٣ و ١٠٠)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١ / ٩٥)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١ / ٢١٩) عن معاوية. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ١٠٥)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم، ضعيف، =

نعـوذ بالله تعالى من شرِّ الابتداع، ونسأله سبحانه حسنَ الاتِّبـاع لما كان عليه جماعةُ السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين، والسَّابقين الأولين، من الأنصار والمهاجرين، وأَسْأَلُهُ سبحانه حُسْنَ الخاتمة، في خير وعافية آمين.

تمَّ الكتابُ المباركُ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الأحد سلخ شهر ربيع الثاني من شهور سنة اثنتين وثلاثين وألف[1].

□□□

= وبقية بن الوليد، مدلس، ووردَ مِن قـول حسان بن عطية، رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٣٧)، والدارمي في «سننه» (١ / ٤٥)، بإسناد صحيح.

(١) وقـد أعـدتُ النـظر في هذه الرسالة بعد فجر يوم الأحد ١٩ ربيع الثاني، سنة ١٤٠٧هـ، الموافق ٢١ / ١٢ / ١٩٨٧م.
والحمد لله على نعمائه.

الفهارس

١ ـ فهرس الأحاديث النبوية هجائياً.

٢ ـ الفهرس العام.

١ ـ فهرس الأحاديث النبوية هجائياً

□□□

٢ ـ الفهرس العام

□ □ □

التنضيد والمونتاج
مكتبة الحسن للنشر والتوزيع
عمان - هاتف (٦٤٨٩٧٥) - ص.ب (١٨٢٧٤٢)

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٨/٥/٢٣٧

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٨٨/٥/٢٦٠

توزيع
مكتبة دار النفائس
للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٧٨٤٤٩٢
ص.ب ٥٣٥٢٠ الرمز البريدي ١١٥٩٢

المطابع التعاونية - عمان